الخصائص

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

الخصائص

صنعة

أبي الفتح عثمان بن جني

بتحقيق

محمد علي النجار

الأستاذ بكلية اللغة العربية

الجزء الأول

المكتبة العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

تصـــدير

كتاب الخصائص أو خصائص العربية لأبى الفتح عثمان بن جنى، من الكتب اللغوية القيمة التى أقر المجلس الأعلى لدار الكتب المصرية طبعها سنة ١٩١٣ م ضمن مشروع إحياء الآداب العربية .

وقد سبق للدار أن قامت بطبع الجزء الأول منه ونشره بمطبعة الهلال بمصر سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) . وعلى الرغم من أن الكتاب لم ينشر فى ذلك الحين كاملا ، ولم ينل ما يستأهله من التحقيق فقد كان له أثر محمود عند جمهور العلماء والأدباء والباحثين والمشتغلين باللغة العربية وفقهها ، والمعنيين بأصول اللغات وعقد الصلات فيما بينها ؛ بل إنه فتح آفاقا جديدة للبحث ، وأنشأ فصولا طريفة تداولها الباحثون بالتمحيص والتوليد والدرس، ووقف الناس من ابن جنى على عالم منقطع القرين .

ولعدم توافر النسخ الكاملة الصحيحة وقف العمل فى الكتاب عند هذا الحد زمانا ، وأخذ القراء من مختلف الأصقاع وشتى الأقطار يتوقون لقراءة بقية الكتاب ، ويلحون على الدار أن تمضى فى نشر بقية الأجزاء . ومع مضى الزمن وتوالى الأيام أمكن الدار أن تحصل على نسخ صحيحة كاملة ، وأن يتهيأ لها نشر بقية الكتاب .

وحينما علمت الدار أن الأستاذ العالم الثقة الشيخ محمد على النجار الأستاذ بكلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية يقوم بدراسة هذا الكتاب من زمن طويل، وأنه معنىّ بالعمل فيه رأت أن تعهد إليه فى إعادة تحقيق الجزء الأول تحقيقا علميا على النحو الحديث، وإتمام تحقيق بقية الكتاب، ووضعت بين يديه النسخ المختلفة التى بالدار، واستحضرت ما أمكن الحصول عليه من المكتبات الأخرى، ويسرت له المراجع التى يحتاج إليها، فقام بهذه المهمة خير قيام، بما عهد فيه من صبر وأمانة ودقة، وهذا فوق تخصصه فى هذا الشأن.

وقد قدّم للكتاب بدراسة وافية عن ابن جنى وحياته وعصره وكتبه، وتحدّث عن كتاب الخصائص وقيمته ومنزلته، ووصف النسخ التى استعان بها فى إخراج هذا الجزء وصفا علميا مفصلا.

وبعد، فهذا هو الجزء الأول من الطبعة الثانية من كتاب الخصائص تقدّمه الدار للعلماء والأدباء والباحثين على منهج علمى مفيد، وهو جزء من ثلاثة أجزاء، تلحق به الفهارس العامة، ومراجع البحث والتحقيق، وسننشر إن شاء الله بقية الأجزاء فى وقت قريب.

وعسى أن تكون الدار بما قامت به من نشر هذا الكتاب الجليل، على هذا النحو من التحقيق وتحرير النص وحسن العرض، قد قامت بجزء من رسالتها الجليلة فى نشر الثقافة العلمية، وبعث التراث العربى النفيس.

ومن الله العون والتيسير.

محمد أبو الفضل ابراهيم

مدير القسم الأدبى بدار الكتب المصرية

٣ من ذى الحجة سنة ١٣٧١ هـ

٢٤ من أغسطس سنة ١٩٥٢ م

مقدمة

نسب ابن جنّى

هو عثمان بن جنى ؛ ولا يعرف من نسبه مَن وراء هذا ، وذلكُ أنه غير عربىّ ، وكان أبوه جنّى روميّا يونانيّا ، وكان مملوكا لسليمان بن فَهْد بن أحمد الأزْدىّ . ومن ثَمَّ ينتسب ابن جنّى أزديّا بالولاء ، فيقول فى آخر المُنْصف شرح تصريف المـازنىّ : « قال أبو الفتح عثمان بن جنّى الأَزْدىّ ... » . ولا تذكر لنـا المراجع التى بأيدينا شيئا عن أبيه أين كان قبل أن يَقْدَم المَوْصِل إن كان هاجر إليها ولم يكن وُلد فيها ، ولا ماذا كان يعمل لمولاه .

أمّا سليمان بن فَهْد مولى أبيه ، فلا تُفصح المراجع عن أمره ومكانته فى المَوْصِل . وقد ظَلِلت حينا من الدهر على ظنّ أنه كان من قُطّان الموصل ، فقد[1] كان الأَزْد من أوائل مَن سكنها بعد فتحها فى سنة ٢٠ للهجرة ، حتى وقفت فى الكامل لابن الأثير فى حوادث سـنة ٤١١ على مقتل سليمان بن فهد . وقد ذكر ابن الأثير من أمره أنه كان يكتب فى حداثته بين يدى أبى إسحاق الصابى — كانت وفاة الصابى سنة ٣٨٤ — ، وأنه انتقل إلى الموصل فاقتنى بهـا ضياعا ، ونظر فيهـا لقِرْواش أمير بنى عُقَيل — وهو معتمد الدولة أبو المنيع قرواش بن المقلد أحد أمراء العقيليين

(١) تاريخ الموصل للقس سليمان صائغ ١/٥١ .

ولى الموصل سنة ٣٩١ إلى سنة ٤٤٢ (زامباور ٥٩) ، — ثم غضب عليه قِرْوَاش فقتله . ويبدو من هذا أنه كان فى بغداد عند الصابى ، ثم انتقل إلى الموصل .

وإذا كان سليمان هذا بقى إلى سنة ٤١١ ، فقد عُمِّر وتنفّس به الزمن ؛ فقد حيى بعد ابن جنى الذى توفى سنة ٣٩٢ ، وبعد أبيه فيما يبدو . ولا أكتم فى هذا المقام شكّا يخامرنى فى الأمر ؛ أفلا يحتمل أن سليمان بن فهد الذى قتله قِرواش سنة ٤١١ غير مولى جنى والد أبى الفتح ! ونرى ابن الأثير يقتصر فى تحليته على « الموصلىّ » ولا يحلّيه بالأزدىّ الذى يحرص الرواة عليه فى مولى جنّى .

على أن مما يرجّح أن سليمان بن فهد صاحب قِرواش هو مولى جِنّى أن ابن الزمكدم[1] الذى هجا[2] ابن جنى ، هجا سليمان صاحب قِرواش فى شعر بديع ، يدخل فى باب الاستطراد ، وهاكه :

وليلٍ كوجه البرقعيدىّ ظلمةً ... وبَرْدٍ أغانيه وطولِ قُرونه

سَرَيت ونومى عن جفونى مشرَّد ... كعقل سليمان بن فهد ودينه

على أولقٍ فيه التفات كأنه[3] ... أبو جابر فى خَبْطه وجنونه

إلى أن بدا ضوءُ الصباح كأنه ... سَنَا وجهِ قِرْواش وضوءُ جَبينه

---

(١) هكذا بالكاف فى كامل ابن الأثير والمختصر لأبى الفداء فى حوادث سنة ٤١١ . وفى نسخ معجم الأدباء : « الزملدم » ، ولم أقف له على ترجمة .

(٢) انظر معجم الأدباء فى آخر ترجمة أبى الفتح .

(٣) الأولق فى الأصل : الجنون ، يريد به فرسا ذا أولق من النشاط . وقوله : « فيه التفات » يروى : « فيه هباب » . والهباب ، بكسر الهاء : النشاط .

و يقول ابن الأثير فى المثل السائر[1] : « وهذه الأبيات لها حكاية . وذلك أن شرف الدولة قرواش ملك العرب ، وكان صاحب الموصل . فاتفق أن كان جالسا مع ندمائه فى ليلة من ليالى الشتاء ، وفى جملتهم هؤلاء الذين هجاهم الشاعر . وكان البَرْقَعِيدىّ مغنّيا ، وسليمان بن فَهْد وزيرا ، وأبو جابر حاجبا . فالتمس شرف الدولة من هـذا الشاعر أن يهجو المذكورين ويمدحه ، فذكر هذه الأبيات ارتجالا . وهى غريبة فى بابها ، لم يسمع بمثلها » .

ولم أر لابن جنّى فى مصنفاته ذكرا لمولى أبيه .

وكأنما كان ابن جنّى يحسّ ضعة عند الناس أن لم يكن من أصل عربىّ ، فعُنِى أن ينضح عن نفسه ، و يذكّر أن عنده ما يعوضه هذا النقص ، و يأخذ بضَبْعه نحو المعالى و باسقات الشرف . وذلك إذ يقول من قصيدة طويلة :

فإن أصبح بلا نسبٍ ... فعلمى فى الورى نسبى
على أنى أءول إلى ... قُرُوم سادة نُجُب
قياصرة إذا نطقوا ... أَرَمَّ الدهرُ ذو الخُطَب[2]

---

(١) « النوع الثالث والعشرون فى التحاص والاقتصاب » . وانظر الكامل لابن الأثير فى حوادث سنة ٤١١ ، والصبح المنبى ٢٥٥ . وقد نسب هذه الأبيات صاحب الفوات فى ترجمة قرواش إلى الطاهر الجزرىّ . وكذلك صاحب الوافى بالوفيات .

(٢) أرم : سكت . و « ذو الخطب » أى المنطيق بأفعاله وآثاره ، فالخطب بضم ففتح جمع الخطبة . ويقرؤها ابن مكتوم « الحطب » بصمتين ، ويرى أن أصلها الخطوب ، لحذف الواو للضرورة . وهذا كما ورد فى شعر الأخطل :

كلمع أيدى مثاكيل مسلبة ... يندبن ضرس بنات الدهر والخطب

وانظر ص ٣٣٣ من هذا الجزء . ولكن هذا الوجه بعيد فى بيت ابن جنى ، والأقرب ما ذكرت .

أولاك دعا النبيُّ لهـــم ... كفى شرفا دعاءُ نبي (١)

ويتردّد الباحث فيما يعنى ابنُ جنىّ فى انتسابه إلى القياصرة. فهل يعنى أنه من الروم هذا الجيل من الناس الذين منهم القياصرة. أم أنه كان من سلالة القياصرة.

وجنّى علم رومىّ، ويذكرون أنه معرب كِنّى. ويقول ابن ما كولا فى كتابه (٢) فى المؤتلف والمختلف: «وحكى لى إسمعيل (٣) بن المؤمّل أن أبا الفتح كان يذكر أن أباه كان فاضلا، بالروميّة» وظاهرٌ أن ابن جنى يريد تفسير اسم أبيه جنى الرومىّ، وأن معناه فى العربيـة: فاضل. وجـنى تكتب بالحروف اللاتينية ممثـلة للفظ اليونانىّ gennaius، ومعناها: كريم، نبيل، جيّد التفكير، عبقرىّ، مخلص. ومن هذا يبدو صدق تفسير ابن جنّى لاسم أبيه.

وجنى، بكسر الجيم وكسر النون مشدّدة وسكون الياء، فلا تشدّد الياء كياء النسب؛ إذ ليست بها. وفى حاشية الشمنّى على المغنى بعـد أن أورد ترجمة ابن جنّى: «وفى الشرح فى غير هـذا الموضع: هو بإسكان اليـاء، وليس منسوبا، وإنمـا هو معرب كنى. كذا فى شرح (٤) المفصّل للاسفندارىّ» وهـو يريد بالشرح

---

(١) روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقيصر يدعوهما إلى الإسلام. فأما كسرى فقد مزق الكتاب لما قرأه، وأما قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ثم رفعه. فلما بلغ ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم قال فى كسرى: مزق الله ملكه. وفى شأن قيصر: ثبت الله ملكه. وانظر فتح البارى طبعة الخشاب ١/٣٤.

(٢) هو كتاب «الإكمال فى رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب» وهو مخطوط فى دار الكتب فى فن المصطلح.

(٣) له ترجمة فى البغية ١٩٨، وكانت وفاته سنة ٤٤٨.

(٤) يسمى هذا الشرح المقتبس فى توضيح ما التبس. وصاحبه الشيخ أبو عاصم على بن عمر المدعو بالفخر الإسفندوى — وهكذا رسم فى كشف الظنون — المتوفى سنة ٦٩٨.

شرح الدمامينى للمغنى . و إعراب جنى على الحكاية لحالها فى العجميّة ، فلا تعامل فى الإعراب معاملة الكلمات العربيّة . وذلك أنها لو ذُهب بها هذا المذهب فعوملت معاملة المنقوص لقيل : ابن جنٍّ فتضيع صورة العَلَم ، و يلتبس الأمر بالجنّ ، فمن ثمّ أبقيت كما هى حفاظا على صورتها .

وقد جاء من الأعلام على نسق جنّى حنّى . ويقول ابن ما كولا فى كتابه : « وأما حنّى — بكسر الحاء المهملة وتشديد النون الممالة — فهو أبو الحسن علىّ ابن أبى بكر بن أحمد بن علىّ بن يحيى البيّع البغدادىّ ، يعرف بابن حنى . حدّث عن ابن رزقويه » ، وذكر أن مولده فى سنة ست وثمانين وثلاثمائة . وقد ذكر صاحب القاموس فى (حنن) هذا الاسم ، وذكر أيضا آخر يعرف بابن حنى .

هذا . وأذكر فى ختام هذا الحديث رجلا يدنو من ابن جنّى فى مذهبه اللغوىّ والأدبىّ ، وتهذيب عبارته وحسن ترتيبه ، يشاركه فى بعض صفاته . ذلك هو ابن رشيق صاحب العمدة . فقد كان أبوه مملوكا روميّا من موالى الأزْد . وهو لا يبعد عن عصر ابن جنى . فقد ولد فى سنة ٣٩٠ وتوفّى سنة ٤٦٣ كما فى ابن خلكان .

مولده

ولد ابن جنى فى المَوْصل . ويقول من ترجم له : إنه ولد قبل الثلاثين والثلاثمائة من الهجرة ، ولا يعينون مولده بعد هذا . إلا أبا الفداء فى المختصر، فهو يذكر أن وفاته سنة ٣٠٢ ، ويقول ابن قاضى شُهْبة فى طبقات النحاة : إنه تُوفّى وهو فى سنّ السبعين . فإذا أُخذ بهذا وروعى أن وفاته كانت فى سنة ٣٩٢ فإن ولادته تكون فى سنة ٣٢٢ أو سنة ٣٢١ .

ويذكر الرواة أنه صحب أبا على الفارسىّ أستاذه أربعين سنة بعد اتصاله به على أثر حادثة مسجد الموصل — وستأتى قصّتها — وكانت هذه الحادثة سنة ٣٣٧، فإذا وضع تاريخ ولادته فى سنة ٣٢٢ كانت سنه عندئذ خمس عشرة سنة . وتروى القصة أن أبا علىّ مرّ عليه وهو يدرّس العربيّة ، ومن القليل أن يتعرض المرء للتدريس فى هذه السن المبكّرة . وهذا قد يرجح رواية أبى الفداء فى تاريخ ولادته . وقول ابن قاضى شهبة إنه توفى فى سن السبعين، قد يكون (السبعون) فيه محرّفة عن التسعين . ويرى[1] بعض الكاتبين عنه من علماء المشرقيات أن ولادته كانت سنة ٣٢٠ ، وهذا قريب مما ذكرت . وبعض[2] هؤلاء جعل مولده سنة ٣٠٠ ، وهذا قريب مما جاء فى أبى الفداء .

نشأته

نشأ ابن جنّى بالموصل ، وتلقى مبادئ التعلم فيها .

وقد أخذ النحو عن أحمد بن محمد الموصلى الشافعىّ المعروف بالأخفش . ولم أقف على أحد من شيوخه فى الموصل سوى هذا الرجل ، ولا تذكر المراجع تاريخ وفاته ، ولم أجد له ذكرا فى طبقات الشافعية . ولست أدرى ألُقّب الأخفش لخفش فى عينه ، أم لشهرته بالنحو فقيل له الأخفش ، كأنه الأخفش المشهور به ، وهو سَعيد بن مَسْعدة .

---

(١) مقال دائرة المعارف الاسلامية فى ترجمة ابن جنى .

(٢) انظر بركلمان وتاريخ الموصل ٢/٦٣ .

والنحو فى الموصل قديم ، بثّـه فيها مَسلمة بن عبد الله الفهرىّ[1] . أخذ النحو عن خاله عبـد الله بن أبى إسحق الحضرمىّ . وكان فى آخر عمـره مؤدّبا لجعفر بن أبى جعفر المنصور ، ومضى معه إلى الموصل فأقام بها .

ويذكر ابن خلّكان أنه قرأ الأدب فى صِباه على أبى علىّ الفارسىّ ؛ ولم يذكر أين كان ذلك . والمعروف عن أبى علىّ أنه دخل بغـداد سنة ٣٠٧ ، فهـل أخذ عنه فى بغـداد إذا صحّ ما رواه ابن خلكان . ويقـول ابن ماكولا : «سمع جماعة من المواصلة والبغداديين» ، والمُواصلة[2] أهل الموصل والواحد موصلىّ . وظاهر الأمر أن ذلك كان فى صِباه . وسـيأتى الكلام على هـذا فى الحديث عن صلته بأستاذه أبى علىّ .

بعض صفاته الخِلْقيّة والخُلُقيّة

لم تقفنا المصادر على خَلْقه وسِماته الجسمية . فهـل كان طُوالا أو قصيرا ، أو ربعة ، وهل كان بدينا ، أو كان ضَرْبا[3] من الرجال ؟ وهل كان أبيض ؟ وهذا ما يغلب على الظنّ أن يكون عليـه ابن جنّى ، أن كان أبوه روميّا ، وإن كان الغالب على المَواصِلة سمرة اللون[4] .

وقد كان أعور . ويقول المترجمون له : إنه كان ممّتعا بإحدى عينيه فى الكناية عن عَوَره . وكأن هذه الكناية من باب التوجيه البديعى ؛ فإن إحدى العينين الممتع بها الأعور يجوز أن تكون المبصِرة ، يتمتع بالإبصار بها والاهتداء

---

(١) البغية ٣٩١ .
(٢) ورد هذا الجمع فى تاريخ بغداد ١٢/٣١٢ .
(٣) هو الخفيف اللحم .
(٤) تاريخ الموصل ١/٣٣٤ .

بنورها ، ويجوز أن تكون الذاهبة ، فالأعور ممتّع بثواب الصبر عليها ، والأجر على فقدها .

وقد ترجم له الصلاح الصَفَدىّ فى كتابه «الشعور بالعُور» . ويقول صاحب مسالك الأبصار[1] : «وناهيك به من أعور عينه نضاخة ، وأرضه مما تنبت سوّاخة» .

وقد نبزه بشر بن هرون بالعور فى قصة سيأتى إيرادها ، وذلك حيث يقول :

العُـرّ والعـار فيـك تمّـا والعَـوَر التـامُ والعـوار

— وقوله التام أصله التام بالتشديد ، خففه للضرورة —

ومما ينبئ عن عَوَره قوله فى التشوّق لصديق له :

صدودك عنى — ولا ذنب لى — دليـل على نيـة فاسـده
فقد — وحياتك — مما بكيت خشـيت على عينىَ الواحـدهْ
ولـولا مخافـة ألّا أراك لما كان فى تركها فائدهْ

ويقول ابن خلّكان : «وقيل : إن هذه الأبيات لأبى منصور الديلمىّ» . ولا ينبغى أن يفهم من الشكّ فى نسبة هذا الشعر إليه الشكّ فى عوره ، كما ذهب بعض الكاتبين[2] لحياته ، فليس مَرَدّ عوره إلى هذا الشعر ، إذ هو معدود فى العُور ، قال هذا الشعر أو لم يقله . ولا تقفنا المصادر على تاريخ عوره . فهل أصيب به فى حداثته ، أو أصابه وقد علته كبرة ؟

---

(١) ج ٤ ص ٣٠٦ .

(٢) انظر المقال المنع للأستاذ عبد الله أمين فى المقتطف (الجزء الثالث من المجلد الحادى عشر بعد المائة) .

وكان من عادته فى الحديث — فيما زعم بعض من يتحدّث عنه — أن يميل بشفتيه و يشير بيديه ، وقد كان هذا موضع تندّر من بعض الكُتّاب فى ديوان آل بويه فى بغداد بأبى الفتح . فقد أبصره وهو يتحدّث و يفعل ما تعوّده مما ذكرت ، فأثار[1] فيه الكاتبُ النظرَ ، فسأله أبو الفتح فى ذلك فقال : « شبّهتُ مولاى الشيخ وهو يتحدّث و يقول ببوزه كذا وكذا بقرد رأيته اليوم عند صعودى إلى دار المملكة وهو على شاطئ دجلة يفعل مثل ما يفعل مولاى الشيخ . فامتعض أبو الفتح وقال : ما هذا القول يا أبا الحسين ، أعزك الله ! ومتى رأيتنى أمزح فتمزحَ معى ، أو أمجُنُ فتمجنَ بى ! فلمّا رآه أبو الحسين قد حَرِد واستشاط وغضب قال : المعذرة أيها الشيخ إليك وإلى الله تعالى عن أن أشبّهك بالقِرْد ، وإنما شبّهت القِرد بك . فضحك أبو الفتح وقال ما أحسن ما اعتذرت ! وعلم أبو الفتح أنها نادرة تشيع ، فكان يتحدّث بها هو دائما[2] » .

و يبدو أن مردّ هذه العادة عند ابن جنى — إذا صحّ إسنادها إليه — ما فى خُلُقه وسجيّته ، من توكيد المعنى فى نفس السامع وتسديده ، وهذا أمر بادٍ فى كتبه . فهو يميل دائما إلى الإطناب والتكرار والتوسل إلى الإقناع بكل ما فى وسعه . ولا ريب أن الإشارة باليد أو الفم من هذه الوسائل النافعة . وكذلك سائر أحوال المتكلم من طلاقة وجه ، أو انقباضه وما جرى هذا المجرى ، كلّ ذلك يوضح المعنى ويبين عنه . وقد أدرك هذا ابن جنى وأفاض فيه فى الخصائص ، وقال بعد كلام فى هذا المعنى : « وعلى ذلك قالوا : رب إشارة أبلغ من عبارة[3] » . وقد يجوز أن ابن جنى

(١) يقال أثار إليه النظر ؛ أحدّه .
(٢) ياقوت فى معجم الأدباء فى ترجمة أبى الفتح .
(٣) انظر الخصائص ١/٢٤٧ .

كانَ فى لسانه لُكْنة لمكانه من العجمة من جهة أبيه ، فكان يستعين على إيضاح ما يريد بالإشارة .

وكان ابن جنّى رجل جدّ وامرأ صدق فى قوله وفعله . فلم يؤثر عنه ما أثِر عن أمثاله من رجال الأدب فى عصره من اللهو والشرب والمجـون وما جرى فى هذا المذهب . وكان عفّ اللسان والقلم ، يتجنّب الألفاظ المُنْدية للجبين ، والعُور من الكلم فى تصنيفاته . وقد يكون مردّ هـذا إلى أنه اشـتغل بالتعليم والتدريس ، ولم يكن ممن همّه وسَدَمه منادمة الملوك وإرضاؤهم كأبى الفرج الأصبهانى وأضرابه . وانظر إلى قـوله لأبى الحسين فى الحديث السابق : « ومتى رأيتنى أمزح فتمزح معى، أو أمجن فتمجن بى ! » . ولقد بلغ من أمره أن يغير فى الشعر ما يستهجن ويقبح ذكره ، ففى بعض كتبه ينشد البيت :

أجَنْـدَلُ ما تقول بنـو نُمَير إذا ما الفَعْل فى آست أبيك غابا

والفَعْل محوّل عن الأير ، وقد تعمّد ذلك لينجو من مَعَرّة هـذا اللفظ ، ولو تهيّأ له أن ينجو من الاست لفعل .

من أخَذ عنه من العلماء والأعراب

قلت فيما سلف : إن ابن جنّى أخذ النحو فى شبيبته عن أحمد بن محمد الموصلى . وقد أخذ فيما بعد عن أبى علىّ فأكثر الأخذ عنه . وهو الذى أحسن تخريجه ونهج له البحث، وفتق له سبل الاستقصاء والتوسع فى التفكير . وسيأتى مزيد لهذا .

وقـد أخذ عن كثير من رُواة اللغـة والأدب . ومن هؤلاء أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن مِقْسَم ، وهو من القُرّاء ، وكان راوية ثعلب . ووفاته

سنة ٣٥٤ ، أو سنة ٣٥٥ . ويروى ابن جنّى عنه أخبار ثعلب وعلمه . ويتردّد ذكره فى كتبه[1] . ويروى أيضا عن أبى الفرج الأصبهانى صاحب الكتاب الخالد[2] : "الأغانى" وكانت وفاته سنة ٣٥٦ . ويبدو أنه رَوَى عن هذين الرجلين فى بغداد . وكذلك يَروى عن أبى بكر محمد بن هرون الرُويانىّ[3] عن أبى حاتم السجستانىّ ، وهذا رَوَى عنه فى بغداد أو فى الموصل ، فقد كان فى بغداد وانتقل إلى الموصل ، ومات بها[4] سنة ٣٥٨ . وممن يروى عنه محمد بن سَلَمة[5] عن أبى العباس المبرد .

وابن جنّى يروى كثيرا عن الأعراب الذين لم تفسد لغتهم . وقد اتّبع فى ذلك سَلَفه من اللغويّين . وكان لا يأخذ عن بدوىّ إلا بعد أن يمتحنه ويتثبّت من أمره وصدق نَجيزته . وقد عقد لهذا بابا فى الخصائص : «باب فى ترك الأخذ عن أهل المَدَر كما أخذ عن أهل الوَبَر» .

ومن الذين أخذ عنهم وكان يثق بلغتهم أبو عبد الله[6] محمد بن العسّاف العُقَيلىّ التميمىّ . وقد[7] يذكره باسم أبى عبد الله الشجرىّ . ومن قوله فيه : «وعلى[8] نحو ذلك

---

(١) انظر من أمثلة هذا ص ٣٨ ح ١ من الخصائص .

(٢) انظر المبهج وسر الصناعة فى حرف الهمزة وفى حرف السين .

(٣) انظر الخصائص ١/٧٥ .

(٤) تاريخ بغداد ٦/١٤ وما بعدها .

(٥) الخصائص (باب إصلاح اللفظ) . .

(٦) انظر الخصائص ١/٧٦ ، ٧٨ ، ٢٤٠ ، ٢٥٠ .

(٧) فى تعليقات الخصائص ١/٢٥٠ أبديت شكا فى هذا ؛ إذ كنت لم أقف على النص الآتى عن ابن جنىّ .

(٨) معجم الأدباء فى ترجمة ابن جنى .

فحضرنى قديما بالموصل أعرابى عُقَيلىّ جُوبى تميمى يقال له محمد بن السّاف الشَجَرىّ . وقَلَّما رأيت بدوياً أفصح منه» .

وفى اللسان (وفى) حديث له عن أبى الوفاء الأعرابىّ .

ويظهر أنه كانت له رِحلة فى طلب العلم وتلقّى الروايات عن الشيوخ . ويقول فى إجازة له أثبتها ياقوت فى ترجمته : «ومما صحّ عنده — أيده الله — من جميع رواياتى مما سمعته من شيوخى — رحمهم الله — وقرأته عليهم بالعراق ، والمَوْصِل ، والشأم ، وغير هذه من البلاد التى أتيتها وأقمت بها» .

ومن رواياته ما ذكره فى «باب فيما يرد عن العربى مخالفا لما عليه الجمهور» من الخصائص : «أخبرنا أبو صالح السَليل بن أحمد بن عيسى بن الشيخ ، قال : حدّثنا أبو عبد الله محمد بن العبّاس اليزيدى ، قال : حدّثنا الخليل بن أَسَد النُوشَجانىّ ، قال : حدّثنى محمد بن يزيد بن ربان ، قال : أخبرنى رجل عن حماد الراوية ، قال : أمر النعمان ، فنسخت له أشعار العرب فى الطُّنُوج — قال : وهى الكراريس — ثم دفنها فى قصره الأبيض . فلما كان المختار بن أبى عُبَيد قيل له : إن تحت القصر كنزا ، فاحتفره ، فأخرج تلك الأشعار . فمن ثَمَّ أهلُ الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة» وقد نَقَل هذا الخبر عن ابن جنّى صاحب اللسان فى (طنج) ، وكأنه لم يقف عليه فى غير رواية ابن جنى .

صحبته لأستاذه أبى علىّ

توثّقت الصِّلات بين أبى الفتح وأستاذه أبى علىّ الفارسىّ الحسن بن أحمد ابن عبد الغفّار بأوثق الأسباب وأمتن العُرَا . وكان ابن جنّى يظهر من التعلق به والتقبل لرأيه والانتفاع بعلمه أحسن ما يُظهر تلميذ لأستاذه ، وهو لا يفتأ فى كتبه

يذكر أبا علىّ وعلمه، ويرجع علمه وزكانته إلى فضل أستاذه، ويبجح بالانتساب إليه والتشبُّث بأسبابه .

ويذكر الرواة فى بدء اتصاله بأستاذه أن أبا الفتح ، وهو شابّ كان يدرّس العربيّة فى جامع الموصل ، فمرّ به أبو علىّ ، فوجده يتكلم فى مسألة قلب الواو ألفا فى نحو قال وقام ، فاعترض عليه أبو علىّ (١) فوجده مقصّرا ، ونبّهه على الصواب ، وقال له : تزبّبت وأنت حِصْرِم ! فتبع أبا علىّ ، حتى نبغ بسبب صحبته إياه ، وبلغ من أمره ما بلغ . وكأن خطاه أمام أستاذه فى مسألة قلب الواو ألفا كان سببا فى عنايته بها ، وإكثاره من القول فيها . وتراه فى الخصائص يعرض لها فى أكثر من موضع ، ومن ذلك ما جاء فى ص ١٤٥ ج ١ إلى ص ١٥٣ ، وإن كان الكلام كان أيضا فى قلب الياء ألفا ، وهما من واد واحد .

وتكاد الروايات تتفق على أن ابن جنّى لم يكن يعرف أبا علىّ قبل هذه الحادثة . وفى ياقوت بعد أن ذكر سؤال أبى علىّ له فى مسألة التصريف متحدّثا عن ابن جنّى : « فسأل عنه ، فقيل له : هذا أبو علىّ الفارسى » وفى هذا بيان أىّ بيانٍ أنه لم يلقه قبل هذا . ولم يشذّ عن هذا — فيما علمت — إلا ابن خلكان ، فهو يقول : « قرأ الأدب على الشيخ أبى علىّ الفارسىّ المقدّم ذكره فى حرف الحاء وفارقه . وقعد للإقراء بالموصل ، فاجتاز بها شيخه أبو علىّ ، فرآه فى حَلْقته والناس حوله يشتغلون عليه ، فقال له : تزبّبت وأنت حِصرِم ! فترك حلقته وتبعه حتى تمهّر » .

---

(١) انظر نزهة الألباء فى ترجمة ابن جنى ص ٤٠٨ من الطبعة الأولى .

ويذكّرنا عجزُ ابن جنّى عن الجواب على ما أورده عليه أبو على من الاعتراض فى مسألة التصريف التى كان يتكلّم فيها بحادثة وقعت لأبى على مع نحوىّ موصلىّ، وكأنما ثار أبو علىّ إذ تعرّض لابن جنّى الموصلىّ مما حدث له[1]. فقد اجتمع أبو علىّ يوما مع محمد بن سعيد البصير الموصلىّ العروضىّ النحوىّ عند أبى بكر ابن شقير. فقال محمد بن سعيد لأبى على: فى أى شىء تنظر يا فتى؟ فقال: فى التصريف. فجعل يُلقِى عليه من المسائل على مذهب البصريّين والكوفيّين حتى ضجِر منه أبوعلىّ، فهرَب منه إلى النوم، فقال: هربت يا فتى! قال: نعم، هربت.

ويؤرّخ الرواة اجتياز أبى على بالموصل بسنة ٣٣٧. وقد كان أبو على جوّالا بالبلاد. ولكن الباحث يسأل: فيم كان اجتيازه بالموصل؟ فهل كان ذلك لعلم يتلقّاه، أو رواية من راوٍ بها يَسمعها؟

وأغلب الظنّ عندى أنه كان مع معزّ الدولة البويهىّ، فقد أغار على الموصل فى هذا التاريخ[2]، وهاجم الحَمْدانيين. وكان أبو علىّ على اتصال وثيق بآل بويه. وكان أكثر اتصاله بعضد الدولة، حتى إن عضد الدولة كان يذكر عن نفسه أنه غلام أبى علىّ.

وقد يكون من دواعى هذه الصلة الاشتراك فى الانتساب إلى الفُرْس، ومعرفة الفارسيّة، فقد كان أبو على يعرفها، كما يذكر ذلك تلميذه أبو الفتح[3]. ويبدو أنه كان يصحب آل بويه فى حروبهم؛ ففى البغية فى ترجمة أبى علىّ أن عضد الدولة لما تهيّأ لقتال ابن عمّه دخل عليه أبو علىّ فقال له عضد

(١) البغية ٤٦.
(٢) انظر كامل ابن الأثير فى حوادث سنة ٣٣٧.
(٣) انظر ص ٢٤٣ من هذا الجزء.